# الأسس العلمية لدعاوى القرآن

## مقدمة

## 1- الإرث الأممي في حضارة الإسلام

لا أحد يشكك اليوم في أن عرب الجزيرة كلها، سواء ما انحدر منهم من جرهم أو جديس أو قحطان أو حمير، أو ممن اندثر كثمود و عاد وغيرهم، إلا وشارك بأصوله أو فروعه في قيام حضارات وادي الرافدين على نهر دجلة والفرات بشقها الكلداني أو البابلي، ولآلاف السنين، قبل أن يتمدنوا ويذوبوا في الحضارات القائمة وتنقطع أخبارهم.

وكانت الجزيرة العربية خزانا بشريا هاما وأحد الروافد لتلك الحضارات، **تعمل عمل السيول التي تحفِش الماءَ من كُلِّ جانب إلى بؤر الحضارات المترهلة أو الشائخة إيذاناً بتغيير الأحوال**، سواء أتعلق الأمر بالنشأة والبناء أو بفك غزل ما هو قائم والشروع في التدمير.

وما قريش على جاهليتها المتأخرة سوى فرعا من تلك الفروع، بعد أن طمست تلك الحضارات بعوامل الجذب والطرد البيئيين، أو بقيام حضارات جديدة على أشلاء ما اندثر مما سبقها كالحاضرتين الساسانية والبيزنطية المعاصرتين لقريش قبل وبعد مبعث الرسالة الإسلامية.

والصحراء بالنسبة للعرب لم تكن كلها نقمة، بل أن من أكبر نعمها عليهم أن عزلتهم عن العالم الخارجي المحيط، مما ساعدهم على الاحتفاظ بخصالهم الموروثة وطباعهم المتأبية المشرئبة للحرية دوما ولخصال المروءة والشجاعة والشرف والفردية التي قلما تعمل الحضارة **على توفيرها** إن عدمت أو **الاحتفاظ بها** إن وجدت.

فعلى هذا الصفاء في سجيتهم الفطرية المرتبطة بالطبيعة والمعاش اليومي قبل البعثة المحمدية، لم نكن ننتظر منهم أن يلقوا بالا للعلوم والمعارف بمعناهما الاحترافي لدى الأمم المتحضرة حولهم، لعدم الضرورة إليهما أولاً، ولعدم تعلقهما بأنماط حياتهم ثانية.

لذلك وجدناهم قصروا همهم على ما يتغنون به من أشعار، وعلى ما يتناقلونه من أخبار أبا عن جد فيما تمس الحاجة إليه من وقائعهم، وأنسابهم وحروبهم، وتنقلهم وحلهم وترحالهم، مما يروونه ويتسلون به كملاحم في أسمارهم.

فجاءت الرسالة ووجدتهم على هذا الصفاء الذي لم تكدره الأهواء، ولا شابته حزازات المذاهب أو العقائد المختلفة مما كان ينتحل فيما يحيط بهم من أمم، على الرغم من الصلة الوثيقة التي كانت لهم بهم لتعلقها بتجارتهم، إلا أنهم زهدوا فيما عند الغير لنفور نفوسهم من عبودية وخنوع وضعة مسالكهم، وهم أحرار الفيافي وصقور البيداء، وزهد فيهم ذلك الغير لقلة ما بأيديهم مما يستحق أن يكون لهم فيه مطمع فيغتصبوه منهم، أو ذا قيمة فيأخذوه منهم –[1].

وهكذا وجد القرآن حين نزل بساحتهم صفائح بيضاء لنفوس أبية، وصدورا خالية من كل كدر أو شائبة، فارتسم فيها وعليها كالنحت على الحجر.

وما هي إلا بضع سنين، حتى أشربوا القرآن فوعوه وتخلقوا به، وأصبح لهم لباسا ومنزعا وخلقاً، فاشرأبت أعناقهم إلى المعالي إلى أن جاءهم نبأ السماء يبشرهم بأنهم اختيروا من بين سائر الأمم ليكونوا يد القدر في حمل الرسالة إلى سائر البشر، بصفتهم: **خير أمة أخرجت للناس**، على غير نمط سابق ولا قالب معروف.

---

[1]– حاول الرومان أيام أغسطس (13ق.م ـــ 14م) أن يجعلوا البحر الأحمر بحرا رومانيا فانطلقت حملة من مصر يرأسها اليوس جالوس ووصلت إلى نجران ونشق وكمناء ومأرب وربما حتى حريب في اليمن، وهي أبعد نقطة وصلتها الحملة، إلا أنها منيت بفشل دريع وخسارات فادحة، حتى ادعى سترابو، المؤرخ الروماني، أن سبب فشل الحملة مرجعه إلى (صالح)، مرشد الحملة الذي عمل على تضليلهم، فأعدموه، وكانت أول وآخر حملة للرومان.
نظرا جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (2 : 42) بيروت.

وما أن أذن المؤذن بأوان الخروج حتى أذهلوا الدنيا، وأدركت القوتان العظيمتان يومها: **ساسان** و**بيزنطة** ألا قبل لهما بهذا المارد الجديد، ليس عن وفرة مال ولا كثرة عُدة وعدد، وإنما بروحهم التي لا يمكن أن تهزم، وعزمهم الذي لا يمكن أن يقهر.

وما ذلك إلا لاختلاف المشربين.

فالحضارتان أقامتا صرح بنائهما على جلب **المتعة ما وجدا إليها سبيلاً وكيف اتفق**، وهؤلاء أقاموها على الطرف النقيض، **كرم العيش وعزة النفس واسترخاص الحياة**، والرضا بها فقط في حالة واحدة وهي: **حالة الانتصار**.

وكان لابد لهذا النوع من الإباء والشموخ والصيانة، المتمثل للمبادئ والمشرئب لمعانقة الثريا بها، أن ينتصر على ذلك النوع من التبذل والخنوع، الملتصق بالأرض والذي قلما يقي نفسه من لوث المدانس، فمحيت **ساسان** و **بيزنطة** تباعا من وجه الخريطة السياسية للمنطقة في أقل من طرفة عين. وورث المسلمون شعوبهم، وورثوا معها مشاكلهم.

ولم ينقض قرن من الزمان حتى كانت دولة القرآن تحكم ثلث العالم المعمور آنذاك من بحر الظلمات غربا إلى تخوم الصين شرقا، ومن خط الاستواء جنوبا حتى تخوم أوربا شمالا.

هذا العالم كان منه ما سيطرت فيه حضارة **الإغريق**، بعد فتوحات **الإسكندر المقدوني** (356 ق.م ــ 323 ق.م) تلميذ الفيلسوف **أرسطو** (Ἀριστοτέλης)(*Aristotélēs*) (384 ق.م ــ 322 ق.م.) ، ومنه ما ورثته الحضارة الرومية التي جاءت بعدها.

وكان للإغريق في هذه الحضارة المتوسطية ميزة تميزها عن سائر الحضارات الأخرى.

كانت لهم **فلسفة**.

وهذا لا يعني أن الشعوب الأخرى لم تكن تتفلسف، بل إن **الصين** و**الهند** تفلسفتا حتى قبل أن يوجد للإغريق ذكر من بين الأمم.

لقد ولع فلاسفة الإغريق، إبان ازدهار حضارتهم بتلك الخدع المنطقية والأحابيل السفسطائية، والمغالطات الجدلية، التي تتلاعب بالألفاظ، وبمدلولاتها المطاطية وغير المحددة في كثير من الأحيان، أو الحمالة الأوجه، والتي رويت عن **سقراطيس** (Σωκράτης) (*Sōkrátēs*) (469 ق, م, ــ 399 ق.م) ، وخلدها تلميذه **أفلاطون** (Πλάτων) (**Plato**) (428 ق.م 348 ق.م) في محاوراته الجدلية، الظافرة أبدا بخصومهم المشدوهين.

ف **الفيلسوف** في هذه التراثية الجدلية يستدرج خصمه، ويدفع به إلى الوقوع في التناقض اللفظي أو المعنوي، ثم يلزمونه على الاعتراف بان استدلالاته

باطلة أبدا. لأنهم لا يخرجون به من خطأ حتى يوقعوه في غيره، ملزمين إياه بالحجة تلو الحجة، في جدال عقيم، لا يقدم ولا يؤخر، تجتمع فيه الحجاج المتضاربة، حيث يجرب كل خصم مدى قدرته على إفحام الخصم، وإلجام دعواه، بالفنون الخطابية فقط، ولا يهم المجادل إن كان الخطاب يتنزل على الوقائع بعينها، أو فقط على التصور الذي له عليها، بخلاف ما هي عليه في نفس الأمر.

وهو جدل **لا يفيد في إنشاد الحقيقة** ولا في الوقوف عليها متى وجدت.

وقد ورث المسلمون هذا **الإرث السفسطائي التخرصي المشئوم** فيما ورثوه عندما ترجم خلفاء بني العباس: **المنصور** و**الرشيد** و**المأمون**، تراث الإغريق، في صورته **الأرسطية** المشوبة ب**الأفلاطونية المحدثة**، حيث اختلط على المترجمين الأوائل كتاب: "**إيساغوجي**" (Εἰσαγωγή) (***Isagoge***) (المدخل) في المنطق ل **فورفوريوس** (مالكوس) الصوري (234 م ــ 305 م) من فلاسفة القرن الثالث الميلادي، والذي تتلمذ **لأفلوطين السكندري** (Πλωτῖνος) (**Plotinus**) (204 م 270 م) ، وظنوه من تأليف **أرسطو** فألحقوه بكتاباته.

وكانت قد طرأت على الإسلام، تلك المقولات التي أثير بخصوص المتشابه من القرآن الذي تقصر العقول عن فهمه أو إدراكه إلا بتكلف، أو مما هو **مخصص بأمم تأتي من بعدهم**، بعد انخلاع آلاف السنين، وهم زمنهم **لم يؤتوا من العلم إلا قليلا**.

فنشا الكلام، وأدى إلى ظهور الفرق المختلفة، كل يلهج بدعوى من الدعاوى التي لا برهان له عليها، أو ينتصر لرأي من الآراء هو فيه مجرد ناعق تابع، أو ينتسب لنحلة من النحل، لم يخبر آراءها ولا محصها.

ثم تعرفوا فيما بعد على **منطق الإغريق**، وعلى **جدل الإغريق**، فاستعملوهما في المناظرات، ما استعملهما الإغريق قبلهم بالحرف لأنهم من ابتدعهما، ثم يهود

الإسكندرية من بعدهم، ثم المسيحيون من بعد هؤلاء، إلى أن دب فيهم ما دب في الأمم قبلهم من فرقة واختلاف فأزهقت أرواح واستبيحت أعراض، وكفر المسلمون بعضهم بعضا، ولم يقف بهم الأمر عند حد شقشقة الكلام، حتى حملوا السيوف فوق رقاب بعضهم البعض واستحلوا ما حرم الله عليهم.

وقد كتب ل **المعتزلة** كفرقة صاحبة أفكار وأراء أن يكونوا **أقوى الأحزاب السياسية** يومها، تتبنى **الدولة المركزية** أفكارهم ومنظورهم إلى **الدين** و**العقائد**، وكان **أصحاب الحديث** و**الفقهاء** لها ولتأويلاتها المتعسفة بالمرصاد، وهم في القوة مثلهم أو يزيدون.

ولو أن **دولة بني العباس** كانت قد ألهمت في تصورها للعالم، النظر إليه من **منظور إسلامي صافي** نابع من **استقراء نصوص القرآن** ونظرته **للكون وللخليقة**، لكان لحضارتها شأن آخر، ولكن غلبت الأقدار على الحيل، وما كان إلى مثل هذا الخيار ولا إلى مثل هذا التمثل وهذه الغاية من سبيل، والأفق المعرفي المسموح لهم به يومها في المجال العلمي، و**المبرمج سلفاً من طرف رب العالمين**، هو أفقهم ذاك وليس أي أفق آخر لم يحن بعد أوان تكشفه، كأفقنا الحالي، الذي ننظر إليهم اليوم من خلاله **بازدراء**، بعد أن أصبحوا أحاديث.

فقد ورث الإسلام حضارات الفرس والكلدانيين قبلهم، والروم والإغريق والهند بعقائدهم المختلفة من: يهودية، ومسيحية، وصائبة، وزراديشتية، ومانوية، وهندوكية وبراهمية، ومزدكية، وكونفوشيوسية، وغيرها مما تتفرع عن هذه الأصول مما لا حصر له ولا عد، بخرافتهم وأساطيرهم ونحلهم وافتراءاتهم.

وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير أن تدخل الحكام في غمار هذا الجدل العقيم، كما فعل **المأمون** بتبنيه مقولة **المعتزلة** في قضية ما عرف ب :**خلق**

**القرآن**". وهو القول الذي انحدرت إليهم شبهته من الشبهة التي سبقهم للوقوع فيها:

**اليهودي المُهَيْلِن: فيلون السكندري** (Philo of Alexandria) (20 ق.م ــ 40 م)

المعاصر ل **المسيح** عليه السلام، الذي قال عن تكليم **الله** جل جلاله ل **موسى** عليه السلام بأن **الله** كان يخلق أصواتا لذلكً الغرض!.

وتعسف **المأمون** في استعمال السلطة وهو يحاول حمل أصحاب الحديث والفقهاء على هذا القول المبتدع في الدين بالتعذيب تارة وبالتشريد أخرى، بل تجاوزه إلى القتل والتنكيل والقهر في أحايين كثيرة، في أمر لم ينزل الله به من سلطان، فحدثت الكارثة، بتصدع صرح الأمة، وظهور ما عرف **بأيام المحنة**.

وكانت أياما عصيبة طالت أصحاب الحديث والفقهاء، ووصل العنت بهم درجة لم يسبق لها مثيل، إلا ما كان من أصحاب **الأخدود** الوارد ذكرهم في القرآن.

فما كان **للقاضي** أن يتولى خطة للقضاء، ولا **للمفتي** أن يتبوأ منصباً للإفتاء، ولا **لخطيب جمعة** أن يخطب في مسجد، ولا **لشاهد** أن يشهد في قضية من قضايا المحاكم، حتى يقسم **بأقنوم** (خلق القرآن).

واستمرت المحنة أيام **الخليفة المأمون** كلها، ثم **الخليفة المعتصم** من بعده، ثم **الخليفة الواثق** من بعدهما، واحتملوا الناس على هذا القول حملا، وأرغموهم عليه قهرا إلى أن جاء **الخليفة المتوكل**، فتدارك الموقف بأن خلى بين الناس وما يريدون.

وخرج المسلمون من المحنة **بجرح جديد**، لم يلتئم وإلى اليوم، كما لم يلتئم قبله جرح قتل الخليفة **عثمان**، ولا الإمام **علي** ولا ابنه **الحسين**.

وأعاد **العباسيون**، بعد أن أخذوا **منظوريتهم العلمية** من منظورية **الفرس**، تحت تأثير **البرامكة**، وليس **القرآن**، إحياء **المشروع الثقافي**

**الساساني** الذي أسس له، قبل مجيئ الإسلام بقليل، **كسرى أنو شروان**

**(501 م ــ 579 م)**.، المتأثر بدوره ب **منظورية الإغريق** إلى العالم، الذين حكموا فارس لفترة، بعد إطاحة **الإسكندر المقدوني** بأمبراطورية فارس المترامية الأطراف وحكمها من طرف قواده العسكريين من بعده.

**ومن الدلائل القاطعة على ذلك أنه:**

☯ قبل باللاجئين القادمين من الإمبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة) عندما أغلق الإمبراطور البيزنطي **جستنيان الأول** (Justinian I) (482 م ــ 565 م)

مدارس **الأفلاطونية المحدثة** في أثينا سنة 529 م.

☯اهتم كثيرا ب **الفلسفة الهندية**، و**العلوم**، و**الرياضيات**، و**الطب**. وبعث العديد من السفارات والهدايا إلى البلاط الهندي يطلب منهم إرسال الفلاسفة للتدريس في بلاطه.

وهو ما سيعيد تمثيله بالحرف الخليفة المنصور العباسي، ثم أبناءه من بعده

☯قام بترجمة العديد من النصوص اليونانية والسنسكريتية والسريانيّة إلى اللغة "الفارسية المتوسطة.

وهو ما سيقوم بمثله بالحرف خلفاء بني العباس، بالنسبة للترجمات العربية.

☯لقب ب "**الملك الفيلسوف لأفلاطون**" من طرف اللاجئين اليونانيين بسبب اهتمامه الكبير ب **الفلسفة الأفلاطونية**.

☯ كانت له اليد الطولى إما في تأسيس أكاديمية مدينة **جونديشابور** أو في توسيعها.

وهو عين ما سيقوم به الخليفة المأمون بتأسيسه لما سمي ب: "**دار الحكمة!!**"، والتي لا تمت لها بصلة أو وشيجة أو نسب.

وقد أدخلت أكاديمية جونديشابور الدراسات الفلسفية، والطب، والفيزياء، والشعر، والخطابة وعلم الفلك إلى البلاط الساساني.

وهو عين برنامج خلفاء بني العباس الأوائل2.

وتقول **حوليات الكنيسة النسطورية** عن **كسرى** بأنه3:

---

[2] أنظر: كسرى الأول في ويكيبيديا بالإنجليزية.

[3] Addai Scher, ed., *Histoire Nestorienne (Chronique de Seért)*, Patrologia Orientalis 7 (1910), 147.

"**كان ضليعاً بالفلسفة**، درس، كما يقال، تحت النسطوري: **المار بار سامى، أسقف كاردو**، وتحت **بولص**: "**الفيلسوف الفارسي**"

ويتبين من هذه الحقائق الدامغة أن **المشروع الثقافي العباسي** هو **مشروع استأنف ما بدأه كسرى أنوشروان** وأوصله إلى مداه، لكن، بإبدال **لغة الضاد** بدل **لغة فارس** كأداة شرح وتواصل.

فهو **مشروع** جمع ولفق بين متنافرات نظرية وعملية يختلط فيها الصالح بالطالح، والنافع بالضار.

**من منافع المشروع** التي تحسب له أنه: أدخل إلى اللغة العربية علوماً لم تكن تعرفها من قبل، حال: الرياضيات، والفلك، والهندسة، وعلوم الهيئة (الجغرافيا)، وعلم الحيل (الميكانيكا)، وعلم الصواتة في اللغة،. والطب بكل فروعه،..ز.إلخ....فوسع مجال اللغة العربية وأغنى مفرداتها، بحيث لم يمر سوى وقت وجيز حتى صارت اللغة العربية لغة العلوم بامتياز (lingua franca)، لا تقرأ العلوم سوى بها, حال الإنجليزية اليوم. {وانظر على موقعنا هذا الجانب الإيجابي في "ضعيف الصحيحين، هل تمددت الأرض بعد نزول آدم إليها ؟":

"**تبني الدولة للبحث العلمي: النموذج العباسي**"

http://www.alhiwar.org/ar/index.php/ainmenu-37/44-terre-expansion/257-----sp-1100458883

**من مضار المشروع** أنه ترجم الفلسفة وتخرصاتها التي لا برهان لها عليها، فأورث من أشربوا بها: **التخرص الراجم بالغيب، والتحذلق اللفظي، والتعالم الواهم، والسفسطة العقيمة** أفضى بهم جماعها في أحايين كثيرة إلى الضلال المبين، بل وحتى **الكفر البواح**.

حال من نجد من **المتفلسفة الأعاجم**، الحاملين لأسماء إسلامية، الذين نهلوا من هذا **السم الزعاف حتى الثمالة**، كما هو دأب **أبي نصر: محمد بن محمد**

**بن أوزلغ بن طرخان التركي الفارابي** ( 260هـ/874 م ــ 339

هـ/950 م) وغيره! الذين دأبوا:

ــ على التخرص ب"**العقول المفارقة**"، و"**الفيض**"، و"**الصدور**"، ....

وغيرها من "**الترهات**"، التي متحوها من **الأفلاطونية المحدثة**، والتي هي **هوس محض**، واستعملوها للتنظير السياسي في **الإمامة**!.

ــ وعلى ترجيح بعض **آراء الفلاسفة الإغريق**، على **ثوابت العقيدة الإسلامية**، كالقول ب **فناء الروح** و**قدم العالم** **مخالفين للقرآن**،

وهل نستغرب أن نجد أصحاب العمائم من الجعفرية لا يزالون ولعين وإلى اليوم بتدريس هذه **الغثائية** في حوزاتهم، **محافظين على الإرث الأنوشرواني** الذي انحدر إليهم، إلى درجة أن **أهملوا القرآن واتخذوه وراءهم ظهرياً** وصدوا عما يقول، جملة وتفصيلاً، اللهم ليسقطوا عليه أخباراً بهرج زيف مختلقات ومؤتفكات من صنع وضاعيهم، رجحوها بدورها على **محكمات القرآن**، ليقولوا بأن **القرآن محرف!!**، ويحولوا منقبة الخلفاء الثلاثة **أبي بكر** و**عمر** و**عثمان** رضوان الله تعالى عنهم في جمعهم للقرآن، إلى مثلبة باتهامهم بتحريفه!.

وقد بلغ من تمالئهم وتواطؤهم على **هذا القول الشنيع والكفري**، ما فضحهم به أحد أساطينهم، و**المؤمن هو نفسه بهذه الفرية**، وهو المدعو:

**ميرزا: حسين بن محمد تقي بن علي محمّد بن**

**تقي النوري الطبرسي** (1245 هـ – 1320 هـ)، حين ألف كتاب:

"**فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب**".

أثبت فيه **أن القول بتحريف القرآن مجمع عليه بين كل أساطين الشيعة الجعفرية**، وأن **من أظهر خلاف ذلك منهم**، ولا يتعدون **أربعة أنفار**، لم يفعلوا ذلك سوى **تقية!**

فانظر كيف **استدرجهم الشيطان**، حتى **كفروا** بأكبر **دعوى قرآنية بإطلاق** وهي "**دعوى الحفظ**" من **التغيير والتبديل**.

وتعجب!!! لتلقبهم بتلك الأسماء الطنانة والرنانة من شاكلة: "**آيات الله**" **!!!** و"**حجج الله**"**!!!**

**وهم مجمعون على تحريف كتابه، بما لم يسبقهم به من أحد في الخافقين!!!.**

وأبى **الله جل جلاله** من فوق سبع سموات:

ـــ إلا أن يبكت الملالي **ويحق الحق عند أوانه**، وبعد أن أضل **الآيات في الضلالة** و**الحجج في العماية**

أجيالاً تلو أجيال من الأتباع، أوردوهم **النار** بمثل هذا **الكفر البواح،**

ــ وأن **يرد للخلفاء منقبتهم،** ويطهرهم من إفك المتقولين عليهم تطهيراً،

حين كشف للناس في عصرنا هذا **شفرة القرآن الرياضياتية،** ليتبين أنه **جل وعلا** حفظ كتابه، ب **الخط** وب**الحرف** الذي كتبه به الكتبة في **المصاحف الأربعة** التي وزعها **عثمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه** على الأمصار.

والظاهر أن **الملالي** لم يستوعبوا بعد هذا الدرس البليغ، وأنهم لا يزالون سادرين في غيهم، إلى أن يصبحوا بدورهم أحاديث.

لذلك أقول لكل من ألقى السمع وهو شهيد:

ــ **إن حضارة القرآن،** وعلى خلاف ما يعتقد الكثير من الناس، **لم تقم بعد ولا فكر فيها مسلم قط.**

**وأنه آن أوان قيامها ونبذ كل ما سواها.**

ـ وأنه آن أوان **مراجعة الملالي لمعتقدهم الفاسد**، رحمة **بمسلمي إيران**، وأن **على باقي المسلمين الواعين**، فرضاً من فروض العين، محاولة انتشال إخوانهم مسلمي إيران من مأزقهم القاتل **في التقليد البليد**، لمثل هؤلاء الجهلة المتعالمين الضالين والمضلين..

وهكذا **استأنف العباسيون بالوكالة**، وهم لا يشعرون، بناء **المشروع الإحيائي الأنوشرواني الساساني**، على نفس نمط، ما عهدت المنطقة وألفت، وكأن طبع جاهلية ما كان يجري في دمائهم غلب على طبائع ما حاول القرآن أن يحليهم به.

فتملك **العرب** رقاب المسلمين زهاء قرن من الزمان، ثم خلفهم **الفرس**، ثم خلفهم **المغول** إلى أن قضى عليهم **الأتراك**، ليحكموا من بعدهم زهاء الأربعة قرون، إلى أن حل بهم ما حل بمن قبلهم من هوان، فأخذ الزمام منهم الاستعمار الأوربي في آخر المطاف.

وهي فترات حكم أعادت تمثيل وإخراج تاريخ حضارات السابقين بحذافيرها، على ما عهد أيام: السومريين، والعيلاميين، والكلدانيين، والحيثيين، والآشوريين، والساسانيين، بطغيانهم وجبروتهم ونجبرهم وظلمهم وعتيانهم وفسادهم، حيث لا يقيمون لحياة الفرد وزنا ولا أن يكون له في مصيره أو معاشه أو مآله في أخص ما يخصه رأيا ولا خيارا، إلا من فلتات تحصل بين الفينة والأخرى تحاول إرجاع الروح إلى الجسد إلا أن الطبع غلب دائما على التطبع.

وبعد عدة قرون من هذا الحمل الموبوء، سلم المسلمون هذه التركة الفكرية إلى **أوربا** عن طريق **ابن رشد الحفيد ( 520 هـ- 595 هـ)** {صورة متخيلة له}

بشروحه على أرسطو، و**الحسن بن الهيثم (354 هـ ــ 430 هـ)** في فهمه للتجريبيات.

وقد ولع الأوربيون بهذين الموروثين أيما ولع، حتى كان من قضاء القدر أن قضى هذان الموروثان على دوغماتية **الكنيسة البابوية** مما لم يُجد فيها السيف نفعا لقرون!

ثم عق **العلم** بعد أن شب عن الطوق أمه **الفلسفة**، وطردها من

حظيرة المعارف الإيجابية، وسجنها في قفصها الذهبي الجميل الذي يجلب الناس لرؤيته إلا أنه لا أحد يحب أن يتخذ منه سكنا.

وحصل كل هذا بقبس وبصيص من الإسلام، أشبه ما يكون بقبس العَجلان، لم يكن صافياً قط حتى في عقر داره، كي ننتظر أن يستضئ به من هم خارج الدار.

وكر الزمان، وعفت فيه حضارة المسلمين، وسارت أوربا بموروثات المسلمين تشق البحار والمجهول، وتبني وتستكشف وتشيد. ورجع المسلمون إلى جاهليتهم الأولى يتحكم فيهم العبيد، ويقطع سبيل حجاجهم قطاع الطرق من كل فج، ومن كل نوع.

ــ وعبد بعضهم **الحاكم الفاطمي** وألهه،

ــ وعبد بعضهم الآخر **العقل** ومجده،

ــ وأشرك أكثرهم **بالأضرحة** والسحر والخرافات والأساطير،

ــ ونصب بعضهم الخيام في انتظار **عنقاء آخر الزمان**، التي لن تأتي أبداً!

ــ وأسرج بعضهم الآخر حسن الجياد في انتظار عنقاء سردابية، دودية، لم تولد قط، وكتبوا لها سيناريو بأن تقيم القيامة في الدنيا قبل الآخرة على أمهات المؤمنين وباقي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ــ وخرج آخرون من عالم المحسوس، وفنوا على زعم منهم في **ذرات الوجود** و**عشق الشهود**، وقالوا بأذواق ومواجد، وبحلول، وغلبة حال، متروحنين متفلسفين مرة ومتفلسفين متروحنين مرة أخرى، واخترعوا لأنفسهم لغة، يفسرونها بحسب الحال،

ــ فإن أتوا بما يخالف الشرع، قالوا: تلك **مواجيد** و**غلبة حال**،

ــ وإن دعا داعي الجهاد، قالوا: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، **جهاد النفس**: والتتار على الأبواب.

ــ وزهد بعضهم في الدنيا وأهلها وتكالب عليها آخرون تكالب الذباب.

ووسط هذا الغثاء، ووسط كل هذا الهذيان الجماعي، لم يكن من الصعب أن يدخلهم الاستعمار بل إن الضرورة الحضارية والحتمية التاريخية كانتا تقتضيانه، لأنهم لو تركوا لأنفسهم لما أبدعوا في الفساد والترهل والحقارة والرذالة والسقوط أبدع مما كان.

ولأن كل ما بقي في جعبتهم من طموح إنما صبوه في عنقاء مغربهم التي لن تأتي، لتملأ حياتهم بالعدل بعد أن مُلئت بالجور والفجور!

وما كان الله ليغير ما بهم، وهم أحقر من أن يغيروا ما بأنفسهم.

وعاد التاريخ القهري، والمسلمون أشتات وأوزاع، ونبتت فيهم نبتة **متعالمة** لعقت لعقة من **العلوم الإنسانية الهشة** في الغرب، وما تدبروا أصلها وفصلها وأخذوا يَلُوكُونها كاللّياب التي لا تغني من جوع. وهي **علوم مؤدلجة** بالأساس، ولا تعلق لها البتة بالحقائق.

{أنظر على موقعنا: {صناعة الفقه (11): "المجتمع والأنموذج الحداثي الغربي: تقييم نقدي"}

، و"أصنام المشاريع وثقافة الذباب: التصورات الخاطئة لقيام نهضة حضارية"

، و"التأويل: بين اليقين العلمي القرآني، والشطح اللاهوتي، والتخرص الفلسفي، والتخريف الصوفي، والأسطرة الشيعية، واللامعقول المعتزلي، والتهجين الأشعري، والثرثرة الهيغلية، والجمود البنيوي، واللامعنى التفكيكي، والتعالم الواهم الما ــ بعد حداثي، و**السؤال المنسي**"

وقد ادعى هذا الذباب الشافط بغرور، أن لا حل للمسلمين سوى في محاكاة الغرب وتقليده، ذاهلين عن حقيقة أن العصر تجاوزهم وبأن الغرب نفسه لهو اليوم **أحوج ما يكون إلى الإسلام من أي شيء آخر**، بعد أن تكشفت **شفرة القرآن للعالمين**، وأصبح في وسع أي احد أن يتيقن منها بنفسه، وأبانت عن

**البنية الرقمية الرياضية** لنصوصه، بما لا يدع مجالاً للشك في مصدر القرآن الإلهي المتعالي، إلا من جاهل لا يعرف ما يخرج من مخه أو بما يهرف!.

لم يدرك هذا الرهط بعد، وعقولهم لا تفقه في العلوم الصلبة حرفاً، أن ما يطوحون به من شبه لا تتجاوز في أحسن أحوالها شبهة **مسيلمة الكذاب** حين فهم من تحدي القرآن للثقلين أن يأتوا بسورة من مثله، أن الأمر أمر **قافية وسجع!**

وهيهات!! هيهات!! أن يصنع أمثال هؤلاء من حضارة، أو تكون لهم فيها من مساهمة إلا أن تكون مساهمة الديدان والجُعلان.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾

وهؤلاء، يعلمون من أنفسهم، قبل غيرهم، أنهم أدعياء معرفة، وليسوا بعلماء ولا أنهم يمتون بصلة إلى العلم

وأكبر مصيبتهم أنهم لا يقرؤون التاريخ، ولئن قرؤوه فهيهات! أن يفهموه، وقد أغلق عليهم سره، وحيل بينهم وبين إدراك غوره، لأنهم يقرؤونه بعجلة ورطانة العبيد ولغة ماسحي الأحذية ومرشدي السياح من الأهليين، وليس بروح من كتبها يتمثل فيها أبطال أمته وعباقرتها تمثل صناع ومبدعي التاريخ، ومخاطبا بها عقول ووجدان أناس يتجاوبون معه تجاوب الروح مع الروح لا تجاوب الطبول والمزامير.

إذ ماذا تغني ، وماذا عنت عبقرية **نابليون بونابارت** (Napoleon Bonaparte) **(1769 م ــ 1821 م)** للمصري المسلم غير استعماريته عندما ظهر على مسرح تاريخهم لأول مرة سنة 1798 م ؟

وماذا عنت بطولات **جنكيزخان** (**1162 م ــ 1227 م**) و**هولاكو** (1217 م ــ 1265 م) و**تيمورلنك** (1336 م ــ 1405 م)(تمثال متصور له في أوزباكستان) لمن اكتسحوا وشرد بهم من سكان بخارى وبغداد وغيرهما من الأمصار والحواضر، غير الهمجية الرعناء، وإن كانوا هم في الحقيقة ظنوا أنهم سوط الله المسلط على عباده العاصين.

ولو كانت الحضارة تبنى بهذه السهولة لسبقهم إليها تيمورلنك، وهو أعظم منهم شأنا وأقوى منهم عزما وأدهى منهم حيلة وأوثق منهم شكيمة، بل لا يقارنون به إلا كما نقارن نجم الأرض بشجر السنديان ، ومع ذلك فشل.

فقد ساورت **تيمورلنك** فكرة إخراج حضارة لم ير الناس مثلها في الخافقين، فأخذ يحشر العلماء والفنانين وأرباب الحرف والصنائع أمامه قهرا في طوابير طويلة وجهتهم إلى **سمرقند** عاصمة ملكه، بعد أن أحرق أمصارهم بالحديد والنار، ظنا منه أن جمعهم بحاضرة ملكه كفيل بخلق الحضارة أو بالأحرى أم الحضارات.

وكم كانت خيبته كبيرة عندما اكتشف أن الشيء الوحيد الذي أبدعه تجمعهم هناك إنما انحصر في اتفاقهم على **إدراك آجالهم هناك.**

إلا أننا يجب أن لا نبخس المغول حقهم، إذ كان لهم الفضل في القضاء على شرذمة الإسماعيلية التي عانى المسلمون منها الأمرين بما كانوا ينشرونه بينهم من رعب وفساد منذ أن استولى زعيمهم **حسن الصباح** على قلعة الموت

بإيران سنة 483 هـ إلى أن استسلم آخر زعمائهم **ركن الدين خورشاه** ل **هولاكو** سنة 654 هـ .

وذاكرة الإسلام صرعى، من اقترافات **الحشاشين** واغتيالات الحشاشين ساكني **قلعة الموت** {أطلال القلعة} ، وقرامطة الموت قبلهم.

{أنظر بعض إرهابهم في: "صناعة الفقه (5): التهجينية الغزالية"، **الحلقة الأولى**

و**الثانية**

، على موقعنا"

ولهم دور آخر أخطر مما يتصور كثير من الناس، ولا يقل عن صنع الحضارة نفسها شرفا، فقد كانوا يد القدر في القضاء على الترهل الذي حل بديار الإسلام من فساد الحكام والمحكومين على السواء، ومن كثرة الخبث والفجور الذي أصبح عنوان ذلك العصر حتى تغنى به المتخنثون والمترجلات. وقدر ل **جنكيزخان** ولذريته من بعده أن يتقمصوا الدور التاريخي المنوط بهم في تلك الحقبة التاريخية، وقاموا به أحسن قيام. وحتى نضع أنفسنا في الإطار التاريخي آنذاك فهاك قبس من خطبة خطبها **جنكيزخان** على **بخارى** قبل إحراقها وتشريد أهلها، ولا شك أن مسلماً كتبها له:

> اعلموا أنكم قد اقترفتم كبائر الإثم الكثير، وأن وزرها إنما يقع على أمرائكم وإذا سألتموني عمن أكون أنا الذي أخاطبكم. فاعلموا أني سوط الله الذي بعث بي إليكم لأنزل بكم عذابه .

ومن هذه الحيثية، لم يكذبهم الرجل، ولا كذب **هولاكو** سكان **بغداد** عندما حل عليهم ضيفا في ذلك اليوم المشئوم من سنة 656 هـ ، إذ قد أينعت رؤوس

وقد حان قطافها كما قال أولهم[4]، ولا توافي كل هذه النفوس أجلها المحتوم إلا بقدر مقدور. وكتب لهولاكو أن يجتث كل بغداد وخبث بغداد، وأن يستأصل كل رذائل بغداد ومعاصي بغداد.

ــ بغداد الغواني من أمثال المغنية **لحاظ** [5] وغير لحاظ،

ــ بغداد ربات الحسن والذلاقة،

ــ بغداد سوق النخاسة والجمال الفاتن،

ــ بغداد الجواري الشائقات المهجنات من كل الأجناس والأصقاع،

ــ بغداد الخمر والندامة من متخنثين ومتخنثات،

ــ بغداد المترفين والمترفات.

وإذ ما ذكر المترفون فما التدمير ببعيد، إذ هو قاب قوسين إن لم يكن على الأبواب.

والظاهر أنهم نسوا أو تناسوا وإن كان **صاحب الميثاق** لا ينسى.

وعلى غرار ما فعل **نبوخادنصر الثاني** (بختنصر) (634 ق.م ــ

562 ق.م) باليهود سنة 586 ق.م في مدينة القدس كذلك سيفعل **هولاكو** ببغداد سنة 656 هــ ، بعد انخلاع أكثر من اثني عشر قرناً، وسمى الله الأول وصحبه عبادا له أولي بأس شديد ولم يقل الثاني عن الأول لا في البأس ولا في الشدة، وكما جاس الأول خلال الديار وتبر ما علوا تتبيرا، فكذلك تبر **هولاكو** ببغداد بما فيها وما عليها.

---

[4] القول هو للطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي أحد ولاة الأمويين.

[5] جاء في ترجمة الموسيقي: صفي الدين: عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الأرموي البغدادي (613 هــ ــ 693 هــ). وقد اختلف المؤرّخون في محل ولادته، فمِنهُم مَن قال إنّه ولد في بغداد، ومنهم مَن ذكر أنّه ورد بغداد صبيًّا من أذربيجان مع عائلته. أدرك العهدين العبّاسي والمغولي. فكان نديمًا لآخر خلفاء بني العباس وهو المعتصم بالله؛ وكان اتّصاله به بواسطة المُغنّية **لحاظ** المشهورة بجمالها وغنائها. ولازم صفيّ الدّين مجلس الخليفة إلى أن سقطت بغداد على يد هولاكو سنة 656 هــ/، 1258م

**هولاكو** وجنده عاثوا في بغداد أربعين يوما بلياليها قتلا وسبيا إلا من اختفى في بئر أو قناة، وبلغ قتلى بغداد **ألف الف وثمانمائة ألف وكسر** قبل أن ينادي بالأمان.

وللمقارنة فإن **قنبلة هيروشيما النووية** قتلت حوالي ربع مليون نسمة في لمح البصر.

ولئن ظهر وكان جند **هولاكو** لم يكونوا بهذه الدرجة من النجاعة والفعالية في التقتيل، إلا أنهم عوضوا هذا النقص بالصبر الكافي، ما مكنهم من قتل ثمانية أضعاف هذا العدد في أربعين يوما.

ونجت **لحاظ** من القتل!

والفرق الوحيد هو أنها بدل أن تغني وتنادم خليفة المسلمين، فقد دفعتها الأقدار لمنادمة **هولاكو** التتار، وإن غنت بعد فلم يبق على قيد الحياة من يدون أخبارها من رواة الآثار.

ولكل أن يقرأ التاريخ حسب ما يرتضيه أو يهواه، ولكن هل يستغرب بعد هذا أن يكون هولاكو[6] من نفس عجينة **نبوخادنصر** !

ــ وهال **ابن الأثير** المؤرخ، هول الفاجعة فتردد سنتين قبل أن يسطرها،

ــ وما يعبأ القضاء بالمؤرخين، ولا **بالإخوان في الدين** الذين قادوا التتار إلى بغداد وزينوا لهم قتل خليفة المسلمين السنيين.

---

[6] ــ سوف يوقف الظاهر بيبرس صاحب مصر، غزو هولاكو في واقعة عين جالوت الشهيرة سنة 658 هــ ، ثم يختلف هولاكو مع ابن عمه بركة ويموت هولاكو سنة 466 هــ على كفرة ويموت بركة السنة التي تليها، وهو مسلم. وبعد خمسة وعشرين سنة، يستقر أحمد بن هولاكو في ملك أبيه، ويبدأ ببناء المساجد والجوامع، ويحاول إعادة حكم الشرع على ما كان أيام الخلفاء. فما أعظم هذا الدين !

ـــ إذ **ما فعلوه سوى حباً في النبي وآله الأطهار !!!**! وحتى وإن لم يفرق التتار بين الآل والآل،

ـــ واحتمل بعض وزرها **طوسيهم**[7] و**ابن علقميهم**[8].

ـــ وإن كان للحواريين **يهودا**، أو يبقى المسلمون بدون **يهودا** لهم؟

ـــ وسيعيد الكرة إخوان لهم بدولة هذه المرة وهي: **دولة الصفويين بإيران**، مع سنيين آخرين، وهم **العثمانيون**، بعد انخلاع زهاء **التسعة قرون** على خيانة **ابن العلقمي**، حيث سيقوم **الصفيون**، بضرب **العثمانيين** من الخلف بالاستيلاء على **بغداد** والسيطرة عليها، مستغلين بعد **الجيش العثماني** عن قواعده أثناء حصاره لمدينة **فيينا** سنة 935 هـ/1529 م، مما اضطر **الجيش العثماني** إلى رفع الحصار والعودة بسرعة لتحرير **بغداد** من قبضتهم.

بل ما وجد **سنيون**، وكقاعدة عامة، يواجهون عدواً في التاريخ، إلا واصطف الجعفريون في خندق العدو، سنة من سنن هذا الحزب لا تتبدل ولا تتخلف.

وما يجري في **سوريا اليوم**، إنما هو تنزيل لهذا القانون.

فلو كان الأمر تقليدا ومحاكاة فحسب كما توهم **مغتربونا**، لنجح الفلاسفة منذ مدة في إقامة جمهورية أفلاطونهم المثالية في مدينتهم الفاضلة،

---

[7] أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (1201 م – 1274)، المعروف باسم نصير الدين الطوسى عالم فلكي وبيولوجي وكيميائي ورياضياتي وفيلسوف وطبيب وفيزيائي ومتكلم ومرجع شيعي جعفري فارسي

[8] قال خير الدين الزركلي في كتاب الأعلام: "ابن العلّقمي (593هـ - 656هـ ) محمد بن أحمد (أبو محمد بن محمد بن أحمد) بن علي، أبو طالب، مؤيد الدين الأسدي البغدادي، المعروف بابن العلقمي: وزير المستعصم العباسي. وصاحب الجريمة النكراء، في ممالأة "هولاكو" على غزو بغداد، في رواية أكثر المؤرخين العرب من امثال ابن كثير و ابن تغري اتهموه بالخيانة و العمالة للمغول.

ولنجح غيرهم في بناء أثينا ثانية غير أثينا، او فلورنسا غير فلورنسا، أو بغداد أخرى غير بغداد.

ولكن هيهات !! لأن الحضارات إنما تقوم على أكتاف العباقرة والأبطال والرجلات ذوي الهمم العالية من الملهمين، وبشروطهم الذاتية، لا بغيرها، إما تلبية لنزع قاهر فيهم لا يعرفون مصدره وإما استجابة لظرف فطري لا مفر لهم منه، لا يسبقون أجلهم ولا يستأخرون.

وكل عصر عصر إنما يموج ويتمخض بما هو محمول فيه من آلام ومآسي، وقيم، وصراعات.

وكل أمة أمة، ما هي في آخر المطاف سوى تلك الأم الكبيرة، الحبلى بذلك المولود الذي لا محالة هي واضعة له في يوم ما، وقد غدته بأفكارها وانفعالاتها، وسوف يرضعه العصر بما هو مؤهل له ليكتسب القوة، ثم المنعة، ثم الجبروت اللازم حتى يقضي على المتناقضات التي ولدته، ويعتنق لنفسه المثل والمبادئ، على النقيض مما يروج حوله ويزخر به عصره فيسري في عروقه دم غير الدم، ويغذي فكره بأفكاره غير الأفكار فيتنازعه القديم والجديد في ملحمة معروفة النتائج.

إذ كل جديد له أبواب مفتوحة على المستقبل وكل قديم، وكأنه في شد مع ماضيه، لا ينفصم عنه. والنتيجة الحتمية لمثل هذا الصراع وهذا الاستقطاب لا تكاد تخطئ أبد بحلوها ومرها ! إذ في كل جديد جدة، وان لم يكن في كل جديد تقدم إلى الأمام دائما، لأن ذلك يعتمد بالأساس على بناء الأمة ومعاير نضجها. وتمثلها الصحيح لمضامين القوة والضعف فيها.

فمن الحضارات ما عمر مئات السنين، ومنها ما اندثر في طرفة عين، وإنما هي أيام يتداولها الناس، لا فرق بين عربي ولا أعجمي، ولا بين شرقي ولا غربي، ولا بين مسلم وغيره.

فالأرض إنما يرثها **الصالحون**.

فإن لم يرثها المسلمون، فلأنهم **غير صالحين**، وإن منوا أنفسهم بالأماني وأحلام اليقظة،

إذ ما تنفع الأماني بدل العقول والسواعد؟،

الجواب يعرفهم قبل أن يتعرفوا عليه، وهو أقرب إليهم من حبل وريدهم، ومع ذلك لا يقض مضاجعهم ولا يبعث بواعث النخوة ولا العزة في تفكيرهم، فهانوا على الحضارة وهانت أنفسهم عنها.

وهانوا على التاريخ كله بعددهم وتعدادهم، وأشربوا الذل إلا بحبل من الله أو حبل من الناس.

والمسلم، هو أن لكل حضارة أبطال ورواد، ولكل رائد في حقل من الحقول المعرفية رفقاء عظماء لا يقلون عنه ريادة ولا بصيرة، وبدونهم لا يتحقق به شيء.

وتاريخ الأمم شاهد وحافل بالأمثلة فيما احتفظت به ذاكرتهم من سيرهم ومآثرهم، يتغنون بهم في أشعارهم وملامحهم، ويحتفون بهم في أعيادهم وأفراحهم. إلا أن ما يجمع بينهم جميعا، هو أن الدور المنوط بهم، لم يكن أبدا من إبداعهم، ولا من اختراعهم، وإنما وجدوه مهيئا لهم ليمثلوه، وأقحموا فيه إقحاما من طرف المجتمعات التي عاشوا فيها وتربوا بين جنباتها.

وكان لسر نجاحهم صفة فيهم كان عصرهم معدا لها عدا ومجتمعهم مترصدا لها رصدا، يرتقب ظهور علاماتها وهو أحوج ما يكون تلمسا لها وطلبا. فيسر لهم المجتمع الظهور وأيدهم بأسباب النجاح والتفوق والبروز والتوفيق.

وبدونها وبدونهم ما كان له أن يوجد أو يكون. ف**عمر ابن الخطاب** لم تخرجه روما، ولا **الإسكندر الأكبر** أخرجته فرنسا. إذ الصفة المطلوبة في عصر ما غير الصفة المطلوبة في عصر آخر، وكذلك الرجال وكذلك الأمم.

ف **الرسالي** أو المتمثل لدوره الحضاري من هذه الحيثية وبدون استثناء سجين عصره وظروفه، لا يتقدمها ولا يتخلف عنها. ولا يبرز الخلاق المتمثل

لروح المجتمع والنابض بنبضه سوى في معنى واحد من معاني الإنجاز، فلما يتعداها إلى غيرها.

فقد يكون بطل عسكريات، أو صاحب تشريع، أو صاحب حكم أو حكمة أو غيرها من أمور الحياة الإنسانية التي اتفقت شعوب الأرض قاطبة أن ترى فيها نوعا من أنواع النبوغ أو الإبداع أو التفوق المثالي أو غير العادي.

إلى أن جادت الصحراء الجرداء برجل على غير مثال، ومعه حضارة في مكنون الغيب وقد آن أوان انبعاثها: حضارة النور، لا كباقي الحضارات. جاهزة، متألقة، مكتملة وصالحة للإنبات في كل مكان وفي كل زمان، تصنع الحواريين والأنصار، على غير نموذج مسبوق بدل العظماء، وتؤهل الربانيين الرساليين على غير نمط بدل الأبطال. تصنعهم صنعا ليصنعوها، وتؤهلهم تأهيلا ليتأهلوا بها وتعزهم عزا ليعتزوا بها: كلهم شربوا من روح الله ونهلوا من علم الله وتخلقوا بخلق القرآن حتى أصبحوا لا يعرفون إلا به ولا يعرف إلا بهم.

خرجوا على الدنيا كلها بقلوب وجلة، وقد اصطفت أمامهم أمم الأرض كلها على صعيد واحد ممن كان وممن سوف يكون وإلى يوم الصعق.

فقال **رُسْتُمهم**[9]:

ــ ما خرج بكم؟

فأجابه **ربْعِيُّيهم**[10] وحافر فرسه مغروزة ببساط الإيوان:

---

[9] قائد الجيش الساساني المواجه لحملة سعد بن أبي وقاص على العراق.

[10] جاء في "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (1: 413)، بترقيم الشاملة آليا)

فأرسل {**رُستم**} إلى سعد {بن أبي وقاص}: أن ابعث إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا. فدعا سعدٌ جماعة ليرسلهم إليهم. فقال له **ربعي بن عامر**: إن الأعاجم لهم أراء وآداب ومتى نأتهم جميعاً يروا أنا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل فمالئوه جميعاً على ذلك.

فأرسله وحده، فسار إليهم، فحبسوه على القنطرة. وأعلم **رُستم** بمجيئه فأظهر زينته وجلس على سرير من ذهب وبسط البسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل ربعي على فرسه وسيفه في خرقة ورمحه مشدود بعصب وقد، فلما انتهى إلى البسط قيل له: انزل، فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شقهما وأدخل الحبل فيهما، فلم ينهوه وأروه التهاون وعرف ما أرادوا، وعليه درع، وأخذ عباءة بعيره فتدرعها وشدها على وسطه. فقالوا: ضع سلاحك. فقال: لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني فإن أبيتم أن آتيكم إلا كما أريد وإلا رجعت. فأخبروا **رُستم** ، فقال: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه،

ــ جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ظلمات الحضارات إلى نور حضارة الله.

هؤلاء الحواريون آمنوا بان لهم موعودا من الله أن يستخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضاه لهم بميثاقهم الغليظ الذي أخذه عليهم:

**﴿ يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾.**

فما أكثر العابدين في كل الحضارات، وما أكثر المشركين،

وما أعز العابدين الذين لا يشركون.

فوفى للأولين حين وفوا وقبض عن المتأخرين حين نكصوا.

والوعد هو الوعد، سنة باقية وناموس لا يتخلف كباقي سننه في كونه الفسيح.

وأشعت حضارة النور بحواريها ورساليها وربانييها لأربعين سنة تقل أو تزيد، ثم خفتت، لا لقصور منها، ولكن لقصور في الحواريين على ندرة وعزة بعد أن قضى حواريو العهد الأول فيما انتدبوا له.

ومن يومها وركب حضارة النور يسير بانطلاقته الأولى، بغير تجديد لوقوده وبقصوره الذاتي فحسب، ليطلع على الناس بعد أن تلطخ بموروث الأمم، بحضارة كباقي الحضارات إلا من بصيص من نور يفيض أو يخفت.

حضارة لها رسم حضارة النور وجسد غريب من أشلاء وحطام الحضارات التي امتصتها أو حلت محلها، من سورية وكلدانية وساسانية وفرعونية وهندية ويونانية ورومية.

---

فلم يدع لهم نمرقا ولابساطا إلا أفسده وهتكه. فلما دنا من **رُستم** جلس على الأرض وركز رمحه على البسط، فقيل له: ما حملك على هذا؟ قال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم. فقال له ترجمان **رُستم** ، واسمه عبود من أهل الحيرة: **ما جاء بكم**؟ قال: الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.....

فتارة يطغى الرسم على الجسد، فيشع قبس من نور، وأكثرها طغى فيه ركام الجسد المخضرم، بكل تناقضاته وسلبياته، وشعوبيته المرتبطة بمخلفات الموروث الذي لم يتوفر له في يوم ما، لا العدد الكافي من الحواريين، ولا الوقت الكافي للعمل فيها بالتهذيب أو التشذيب أو الاقتلاع، ولا الرساليين الربانيين غير المشوبين بأدران حب الذات، القادرين على الأخذ بيد الناس بالرفق المطلوب وبالتوءدة الفاهمة لإخراجهم من ظلمات الموروث إلى نور المبعوث.

وليس صنع الحواريين كصنع العظماء، إذ ما كل العظماء خير كله، ولا صنع الرساليين كصنع الأبطال، إذ ما كل الأبطال أصحاب رسالة.

وما أكثر ما تصنع البشرية من أبطال وعظماء، وما أبخلها في الجود بالحواريين والرساليين.

إلا أن هناك موعوداً لذوي الهمم العالية من كل الأمم، ولذوي الأخلاق الرفيعة من كل جنس بان يورثوا الأرض إن هم صلحوا، وعدا حقا لا يتخلف أبدا.

وفي هذا بلاغ لقوم عابدين وبنص القرآن

بشرط وحيد لا يتخلف قط.

وهو أن يكونوا **صالحين**.

فحي على **الصلاح** إذن.

ومن هنا تبتدئ كل بداية.

# انتهى ويليه الحلقة الثانية

## 1- تطور مفهوم العلم، ما قبل الإسلام.

"